خطبة صلاة الجمعة 22/ 1/ 2016 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(سلسلة: تربية الأبناء) (الخطبة الثانية: مقدمات في تربية الأبناء 2)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : 6]

قال سيدنا عليّ رضي الله عنه: قوا أهليكم نَارًا علّموهم وأدّبوهم.

قال الْحَسَنُ: يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ.. فَيُعَلِّمُهُم الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَيُجَنِّبُهُم الْمَعَاصِيَ وَالْآثَامَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ.

وقال قتادة: مروهم بطاعة الله تعالى، وانهوهم عن معصية الله.

قال البيضاوي: قوا أَهْلِيكُمْ بالنصح والتأديب،

قال الزمخشري: قُوا أَنْفُسَكُمْ بترك المعاصي وفعل الطاعات وَأَهْلِيكُمْ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم. «رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعلّ الله يجمعهم معه في الجنة»

أخرج الترمذي بإسناد مرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: »مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ« .

أيها الإخوة:

الحياة الزوجية محراب من محاريب العبادة، وتربية الأبناء باب من أبواب القرب إلى الله تعالى، ولهذا بدأنا الأسبوع الماضي سلسلة جديدة من الخطب عنوانها – تربية الابناء- لعلنا نفيد منها جميعا في زيادة قربنا إلى الله ببرنا بأبنائنا ورعايتنا لهم.

تكلمت الخطبة الماضية عن مقدمات مهمة في تربية الأبناء

1. تربية الأبناء فرض على الوالدين.
2. تربية الأبناء علم يحتاج إلى دراسة وسؤال أهل الاختصاص.
3. تربية الأبناء طريق تحتاج إلى صبرٍ وأناة.
4. تربية الأبناء مهمة تحتاج إلى معونة من الله تعالى.

وفي خطبة اليوم اثنتان:

5- تبدأ تربية الأبناء من اختيار الزوج المناسب .

أيها الإخوة:

أهم اختيار في حياة المرء بعد الإيمان اختياره لزوجته أو اختيارها لزوجها، إذ كلا الطرفين مهم جدا في تربية الأبناء ، فمن اختار زوجه فقد اختار أبناءه ، وإن مَثَلَ الزوجين كمثل البيت من الشِّعْر، لا يُحكَمُ إذا كان شطرُه محكماً، والشطرُ الآخرُ متخاذلاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«تخيَّروا لنُطَفِكم, فانكِحوا الأكفاء, وأنْكِحُوا إليهم»** (ابن ماجه والحاكم) , يعني: تزوَّجوا الأكفاءَ وزَوِّجوهم، وفي حديثه صلى الله عليه وسلم : **«اختارُوا لنطفكم المواضعَ الصالحة»** (الدارقطني) , وبمعناه الحديث: **«تخيّروا لنُطَفِكم, فإن النساء يلدن أشباهَ إخوانهن وأخواتهن»** (ابن عساكر) .

في الدورة التأهيلية للحياة الزوجية أعقد جلستين اثنتين أولاهما لاختيار الزوج والثانية لاختيار الزوجة أذكر فيهما عشر صفات لكلٍّ منهما، يهمني هنا في تربية الأبناء أن أسلط الضوء على صفتي الحسب والخلق، لأن لهما أثرا كبيرا على تربية الابناء .

وأريد بالحسب شرفَ الآباء والأجداد وسلامةَ الترابط الاسري، فالغالب على من كان من أسرة مترابطة معروفة بالصلاح والخُلُق، أن يتمثل بها ويسير على سيرها.

ويقرَّر علمَ الوراثة اليوم بأن الأولاد يتلَقَّون من آبائهم وأمهاتهم، وأعمامهم وأخوالهم، وأجدادهم وأصولهم عامّةً مزايا يأخذونها, فالولَدُ يتأثر من الأصل الذي خرج منه.

وأنتم تقرؤون في سورة الكهف يومَ الجمعة في قصة الخضر مع موسى عندما أقام الجدار قال الخضر: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف : 82], قال المفسرون: ببركة صلاح الأب حُمِيَ الأولادُ، وقالوا: هذا الأب لم يكن الأبَ المباشِر، بل الجدَّ السابع، فببركة الجد السابعِ حمى اللهُ الأولادَ من نسله!

وعندما يجتمع في الولد عاملُ الوراثة الصالحة، وعاملُ التربية الناجحة، مع توفيق الله يصل الولدُ إلى القمة في الدين والخلق.

كتب الشاعر السوري المبدع مصعب رضا حمود في ديوانه على البراق قصة شعرية لشاب استهوته فتاة فأحبها وتزوجها ولم يلتفت إلى سوء أصلها ومعدنها فكان أن جاءته بابنتين ربتهما على ما ربيت عليه من الفجور فراح يقرع سنه ولات حين ندم. إنه أثر اختيار الزوجة في تربية الأبناء.

تقول القصيدة:

بَرْقٌ من العِشْقِ لم تسبقه أجْرَاسُ ... أضاءَ لَمَا خَبَا في القلب نِبْرَاسُ

سِرٌّ سَرَى كَيْف لم يدرك حقيقتَهُ ... إلا وقد دَارَ نشواناً بهِ الرَاسُ

خضراءُ في دربِهِ أَلْقَت حبائِلَها ... وفَوقَها الوردُ والريحانُ أَكْدَاسُ

فتىً على مثلِهِ تبكي العيونُ دَمَاً ... مِن معدِنِ الطِّيْبِ حيثُ الناسُ أجناسُ

صخرٌ تَهَاوَى على أقدام فِتْنَتِهَا ... جَذْعٌ ترنحَّ إذ غَاصَتْ به الفَاسُ

تزوَّجَا فإذا الأيامُ كالحَةٌ ... والآنَ قد كَبُرَتْ في البيت أغراسُ

صبيَّتانِ بِعُمْرِ الزَّهر وَيحُهما ... يا لُطْفَ ربِّك والتيارُ دعّاسُ

صبيّتان على مِنْوالِ أمّهِمَا ... للصَّوتِ كَسْرٌ وللأجفانِ إنعاسُ

لَعُوبتان تُثِيران القلوبَ هوىً ... شَهيَّتا مبسمٍ, والقَدُّ مَيَّاسُ

مناكِبٌ سَطَعَتْ في الشمسِ ثائرةً ... صدرٌ حَسِيرٌ تَلاَلى فوقه الماسُ

نادٍ, ورقصٌ, لقاءاتٌ, ومنتزهٌ ... معَ الشبابِ وكلُّ الصيفِ أعراسُ

لكنَّما الأبُ يا مسكينُ أيُّ أبٍ ... في عِرضِهِ الصَّحْبُ والأغرابُ قد جاسُوا

الآن تندَمُ والظهرُ انحنى كِبَراً ... وما تبَقَّى لأجلِ القَرعِ أضراسُ

حلَّ الذي حلَّ والأمرُ انقضى ومَضَى

مَنْ يذكُرِ المصطفى يذكُرْ وصيَّتَهُ فما عَلَيْكَ إذا رُمْتَ الرَّدَى باس

تخيَّروا العِرْقَ, إنَّ العِرْقَ دسَّاسُ

أوصى عثمانُ بن أبي العاص أولادَه في تخيُّر زوجاتهم، فقال: يا بَنِيَّ, الناكحُ –يعني: الرجلُ الذي يريد الزواج– مُغْترِسٌ، فلينظر امرؤٌ حَيثُ يضعُ غرسَه, والعِرْقُ السوءُ قلَّما يُنجِبُ إلا مثلَه, فتخيَّروا.

فها أنا ناصح لكل شاب فينا ذاهب إلى الزواج ولكل فتاة يقرع بابها الخاطبون أن لا يتزوجا إلا من طاب أصله وحسنت سيرته، لأن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن ولأن الرجال يربون مثلما تلقوا من التربية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلُّ مولود يولد على الفطرة, –يعني: الفطرَةِ الصحيحة– فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**» (البخاري ومسلم) , أبواه: الأبُ والأم.

وناصح لكل أسرة عندهم فتاة صالحة في سن الزواج أن يخطبوا لها من الشباب الأكفاء من يحفظ عليها دينها وخلقها، وما عليه أن نخطب لبناتنا – وإن لم تجر عادتنا بذلك– وقد سَبقَنا بها الأفضلون فخطب نبي الله شعيب سيدنا موسى لإحدى ابنتيه، وخطب عمر أبا بكر ثم عثمان رضي الله عنهم لابنته حفصة، وخطب سعيد بن المسيب لابنته، وترجم البخاري في صحيحه (باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير) إذ بطيب الأصول تطيب الفروع. وتربية الأبناء تبدأ من اختيار الزوج.

6- إذا أردت أن تربي أولادك فلا بد من أن تتغير:

فأنت لم تعد زوجا وحسب بل أصبحت أبا وأصبحت اما.

جاء في كتاب رسائل لكل أب وأم للدكتور ياسر نصر وهو استشاري تربوي ومدرس الأمراض النفسية بكلية الطب بجامعة القاهرة، والكتاب مطبوع طبعته مؤسسة بداية بالقاهرة، ومنشور على صحائف الشابكة.

قال في الرسالة الأولى: كيف تستقبل مولودك الجديد

(لابد أن تستعد لاستقبال المولود الجديد بأن تغير نفسك لابد أن تغير ذاتك أولا، فحياتك قد تغيرت فأنت لم تصبح زوجا فقط وإنما اصبحت بقدوم هذا المولود أباً أو أصبحت اماً، فلا بد من التغيير ولابد من أن نتجنب انفصام الشخصية فنحن نجد آباء يشاهدون في التلفاز أشياء لا يصح مشاهدتها ثم يقولون لأبنائهم لا تنظروا فهذه مشاهد للكبار وليست للصغار، وهذا خطأ كبير.

لابد أن تقبل الزوجة أن تتحمل مسؤولية هذا المولود الجديد ولا تقول أنا متعبة).

إن عيون الأبناء معقودة على الآباء والأمهات، ومهما قوَّم أحدنا سلوكه وهذَّب أخلاقه وصحَّح عِلمه وعَمله فهو يقوِّم سلوك أبنائه ويهذِّب أخلاقهم ويصحِّح عِلمهم وعَملهم.

وتجدونني مراراً ما أعُيد الحديث عن قضية المرآة في التربية، فأبناؤك مرآتك وانعكاس عنك، فحسن حقيقتك يتحسن أبناؤك، وغيري نفسك إلى الأفضل لتري في بناتك الأفضل.

بأَبِهِ اقتدى عَدِيٌّ في الكَرَمْ ومَنْ يُشابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ

أيها الإخوة:

كانت خطبة اليوم مقدمتين جديدتين في تربية الأبناء

- تبدأ تربية الأبناء باختيار الزوج المناسب .
- إذا أردت أن تربي أولادك فلا بد من أن تتغير

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ رَاعٍ، ومَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والرجلُ رَاعٍ في أهله، وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمرأَةُ في بَيْتِ زَوجِها رَاعيةٌ، وهي مَسؤولَةٌ عن رَعيَّتِها،...والرجلُ في مالِ أبيهِ راعٍ، ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ**» (البخاري ومسلم) .

والحمد لله رب العالمين